بسم الله الرحمن الرحيم

مشروع الأصول الثلاثة

الدرس الرابع

الحمدُ لله رب العالمين , والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين , سيدنا محمَّد وعلى آلهِ وأصحابهِ أجمعين , وعنِ التابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين , أما بعد :

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: { اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلاثِ مَسَائِل، والْعَمَلُ بِهِنَّ:

الأُولَى:أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ جل جلاله: إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً [المزمل: 15، 16].

الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدُ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ جل جلاله: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً [الجن: 18].

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، ووَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ جلاله: لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [المجادلة: 22]. }

• ابتدأ المصنِّف رحمه الله هذه المسائل الثلاث كسابقتها بالدعوة للمُخاطَب بها أن يرحمه ربه فإن الرَّحمة هي سبيل انشراح الصدر وتقبله لما سيقوله من الحق المبين , وحثه على أهمية هذه المعارف بقوله "اعلم" , وهذه المسائل لا تقل أهمية عن تلك إذ أنها جميعاً من الواجبات المحتَّمات على كل مسلم ومسلمة.

• قال المصنف رحمه الله: [الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ جلاله: إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً [المزمل: 15، 16].]

أول ما يجب عل العبد معرفته أن الله هو الرازق المحيي المميت , له جميع معاني الربوبية , فلا خالق غيره ولا رب سواه , قال جلاله: قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ

الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ [الرعد : 16] , فالله خلق العباد وخلق أفعالهم , قال ﷻ: وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ [الصافات : 96] ولتحقيق العبادة التي خلقنا لأجلها أرسل الرسل وأنزل عليهم الكتب , وأمر الخلائق بطاعة رسلهم , فمن أطاعهم فجزاءه الجنة ومن عصاهم فجزاءه النار والعياذ بالله , قال ﷻ: وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ [النساء : 64] , وبذلك اتحدت دلائل الفطرة السويَّة مع دلائل الأخبار اليَقِينيَّة بما تحويه من براهين عقلية في توحيد ربِّ البرية , فلا يحسبنَّ أحد أنَّ الله خلق الخلق عبثاً فلا أمرٌ ولا نهيٌ ولا بعثٌ بعد الموت , بل خَلقهم لِيَمتحنهم وليُظهر آثار صفاته فيهم , قال ﷻ: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ [المؤمنون : 115] فيا سعادة من كان مع حزب الرحمن من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين , فاستجاب لأمر الله , وعبد الله , ووحد الله , فاستحق بفضل الله ومنِّه وكرمه أن يكون من السُعداء في الدنيا والآخرة , قال ﷻ: وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ [هود : 108] وإلا كان ممن قال الله تعالى فيهم: فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ [هود : 106] أعاذنا الله وإياكم منها ومن سمومها وحميمها.

فما من أمة إلا بعث الله إليها نذير وحذرها الكفر بالله , قال جلاله: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ [فاطر : 24] ودعوة جميع الأنبياء واحدة , ألا وهي توحيد الله والكفر بما يُعبَد من دون الله فهذه هي دعوة الإسلام , قال جلاله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ [الأنبياء : 25] , والرسول المرسل هو الشّاهد الأمين على الأمة التي بُعِثَ فيها , قال جلاله: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً [النساء : 41] فطوبى لمن اتبع الداعي إلى الله ويا حسرة على يتبرأ من اتبعه في معصية الله , قال جلاله: وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً [الفرقان : 27-29] , هذا جزاءه في الأخرى أما في الدنيا فإن لأتباع الشيطان نصيب من النكال , وإليك مثالاً عن أعتى جبابرتهم , ذاك الذي تكبر: فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى [النازعات : 24] وتجبر فقال: مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي [القصص : 38] كيف أخذه من قال: إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ [الأنبياء : 92] وجعله عبرة لمن يعتبر , قال تعالى فيه: فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ [يونس : 92] فهذه هي القصة مختصرة , من عبد الله ووحد الله واتبع داعي الحق فهو من الفائزين ومن عصاه وكفر به وحارب أولياء الله فالنار

مصيرة والخُذلان في الدنيا سَبيلُهُ , وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ جل جلاله: إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً [المزمل: 15، 16] أي شديداً.

• قال المصنِّف رحمه الله: [الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدُ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ جل جلاله: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً [الجن: 18].]

فسبحان من تقدس في ملكوته , سبحان من تقدس في وحدانيته , سبحان الواحد الأحد , سبحان الفرد الصمد , سبحان الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كُفُواً أحد , فمن كانت هذه حاله تَنَزَّه عن اتخاذ الشريك والشبيه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في ملكه ولا في جبروته , قال جل جلاله: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ [الشورى : 11] , فالله واحد لا شريك له لذلك لم يتخذ ولداً سبحانه: بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [الأنعام : 101] وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ [البقرة : 116] الله أحدٌ صمد ومن مُقتضَى صمديته أن لا يحتاج لأحد وجميع الخلق محتاجون إليه.

والله كما أنه واحد في ربوبيته , فإنه واحد في ألوهيته لا يقبل أن يشاركه في ألوهيته لا ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌ مرسلٌ فإنهم جميعاً مخلوقون مربوبون لعظمته , فمن معاني ربوبيته الخلق ومن معاني ربوبيته الملك ومن معاني ربوبيته الإحياء والإماتة ومن لوازم ربوبيته أن يُعبد فلا يُشرَك به أحدٌ في عبادته , فكما أنه لا خالق إلا الله فلا معبود بحقٍ إلا الله جل جلاله , قال جلاله: وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ [آل عمران : 80] فكل مخلوق مفتقر إليه , وكل مخلوق يتوكل عليه وكل مخلوق مصيره إليه , قال جلاله: أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً [الإسراء : 57] فهؤلاء الذين يتقرب بهم المشركون إلى الله ويعبدونهم من دون الله هم أنفسهم يطلبون رضى الله ويخافونه ويرجون ثوابه ويتنافسون في ذلك كما قال جلاله: وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ [المطففين : 26]فلا يجوز دعاء غير الله ف إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة : 5] شعار توحيد المسلمين يقولونها في اليوم على الأقل سبعة عشر مرَّة يعلنون بها ويخلصون بها توحيدهم لله عز وجل فلا يعبدون إلا الله وحده , ولا يتوكلون إلا عليه لتحقيق تلك العبادة , قال جلاله: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً [الجن : 18]

• قال المصنف رحمه الله: [الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ جل جلاله: لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [المجادلة: 22].]

فإن من عَبَدَ الله ووحَّد الله وأطاع الرسول واتبعه واقتفى أثره علم يقيناً أن أوثق عُرى الإيمان الحب في الله وحب ما يحبه الله والبُغضُ في الله وبغض ما يبغضه الله , والموالاة للمؤمنين والبراءة من الشرك وأهله , وكُره المعصية وبُغض من فعلها بقدرها , فأفضل الأعمال هي حب الله عز وجل , فإن أعمال القلوب من أجل الأعمال , الخوفُ والرجاءُ والمحبةُ والرِّضى والخشية والرَّهبة والرَّغبة كلها طريق صحيح سليم للوصول إلى رضى الله سبحانه وتعالى , ذلك المطلب العظيم , بل المطلب المرجو من رب رحيم , فهذا القلب الصافي النقي لا يجوز له ولا ينبغي له أن يوالي أعداء الله الذين شنوا الحرب على دين الله وحزبه من المؤمنين ولا أن ينصرونهم ولو

بالكلمة , فلا يكتمل إيمانُ عبدٍ حتى يكون النبي صلى الله عليه وسلم أحبَّ إليه من ماله ووالده وولده والناس أجمعين , فهذه محبة الرسول فكيف بمحبة المرسِل ؟

فمن خالط الإيمان بشاشة قلبه فإنه لا يقدم بين يدي الله لا مالاً ولا تجارةً ولا موطناً بل يلبي نداء الله فيترك تجارته لأداء صلاته ويترك بيته وفراشه للجهاد في سبيل الله , ويا فوز من عامل الله بمطلوب الله منه فكان من حزب الله المفلحين , ويا حسرة على من بارز الله بالمعاصي واتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله الأماني, ولا حول ولا قوة إلا بالله .